

البناء العلمى

المرحلة الثالثة

الفصل الدراسى الثانى

فضل الإسلام (١)

د. فهد بن سليمان الفهيد

الدرس الأول



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- في هذا الفصل سيُعلِّق فضيلة الشيخ -بإذن الله تعالى- على متن كتاب "فضل الإسلام" للإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

❑ فضيلة الشيخ؛ لو تعطينا نُبذة عن هذا الكتاب وعن مؤلفه -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى}.

- هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب "فضل الإسلام" للإمام العالم العلَّامة شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

- وقبل الحديث عن الكتاب؛ نذكر **بعض ما يتعلق بمؤلف هذا الكتاب، وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب** -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

- الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي النَّجدي، وُلد سنة ١١١٥ هـ، وتوفي سنة ١٢٠٦ هـ عن إحدى وتسعين سنة، رحمة الله عليه رحمةً واسعة، وجزاه الله عمَّا قدَّم للمسلمين خير الجزاء.

- الشيخ محمد بن عبد الوهاب ألَّفَ مجموعة من المؤلفات، وهذه المؤلفات مطبوعة وموجودة ومتداولة.

- ونشأ في أكناف والده، وفي بيت علم، فكان أبوه من القضاة، ودرسَ العلم على والده، ثم رحل إلى المدينة ومكَّةَ ودرسَ العلم عند أكابر علماء مكة والمدينة.
- ثم رجع إلى بلده وجلسَ للتَّدريس والتَّعليم والدَّعوة إلى الله، وهو يرى ما عليه كثيرٌ من الناس وكثير من البلدان بحكم ذهابه إلى مكَّة ثم المدينة ثم الأحساء والعراق؛ فاطَّلعَ على أحوال العالم الإسلامي وعرف أحوال المسلمين، ورأى أمورًا مخلَّة بالشَّريعة.
- الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- توفي عام ١٢٠٦ هـ بعدَ جُهدٍ جهيدٍ في الدعوة إلى الله، واستمرَّ طلابه وتلامذته في الدعوة إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- وفي نُصرة الدين الإسلامي، وفي نُصرة التَّوحيد.
- ومن أبرز مؤلفات الشيخ: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وهو من أنفس الكتب.
- ولو نظرتَ إلى كتاب "التوحيد" لوجدتَّ أنَّه يقتصر على الآيات والأحاديث فقط، لا تكاد تتجاوز كلمات للشيخ محمد بن عبدالوهاب عدد الأصابع.
- وكذلك من مؤلفات الشيخ: هذه الرسالة التي بين أيدينا وهي "فضل الإسلام"، وهذه الرسالة بيَّنَ فيها مجموعة من النُّصوص الشَّرعيَّة من الآيات والأحاديث في فضل هذا الدين والشَّريعة الإسلاميَّة السَّمحة، وبيان محاسن الدين الإسلامي.
- والحديث عن فضل الإسلام ومحاسن الدين الإسلامي يدعو المسلم إلى التَّمسك بحقيقة هذا الدين كما جاء صافيًا عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دون الشَّوائب التي أُلحقت من البدع والزيادات التي زادها المبتدعون.
- فشرائع الإسلام كلها حسنة، وكلها خير، وكلها بركة، فشرائع الإسلام كلها من التوحيد والعقيدة، وكذلك العبادات والمعاملات والأخلاق، وما يتعلق بالحقوق الزَّوجيَّة، وما يتعلق بالحقوق مع الآخرين، وما يتعلق بالعقوبات والتَّعزيرات؛ فأحكام الإسلام كلها خير وبركة.
- وتذكُّر هذه النّعم، وتذكُّر فضل الإسلام وبيانه ممَّا يُثبِّت المسلم على هذا الدين، وممَّا يُشجِّع غير المسلمين على الدخول في الإسلام.
- فمحاسن الدين الإسلامي من أسباب دخول الناس في دين الله أفواجًا، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].
- فينبغي أن نتذاكر هذه الرسائل مع أنفسنا وأولادنا ومَن حولنا، وأن نستشعر نعم الله علينا، فهذا كله يشجع المسلم على الثَّبات على الحق، والعزوف عن الباطل وأهله؛ وهذا يُقوّي الإيمان ويثبت الإسلام.
- والشيخ هنا ذكر فضل الإسلام أولًا، ثم ذكر الأمور العمليَّة الحياتيَّة في الإسلام، يعني المنهج الذي يسير عليه المسلم، فإذا دانَ به وسار عليه سلم من البدع والضلالات -بإذن الله تعالى- فالكتاب يعتبر تطبيق منهج عملي للمسلم.

- والكتاب مكوَّن من عدَّة أبواب، بدأها بباب "فضل الإسلام" ثم يتسلسل في التبويب، فذكر:
  - باب وجوب الإسلام، باب تفسير الإسلام.
  - باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].
  - باب في وجوب الاستغناء بمتابعته -يعني القرآن.
  - باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام.
  - باب وجوب الدخول في الإسلام كله.
  - باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر.
  - باب ما جاء أن الله احتجزَ التوبة على صاحب البدعة.
  - باب قول الله تعالى: ﴿ياأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٦٥].
  - باب قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الروم: ٣٠].
  - باب ما جاء في غربة الإسلام وفضل الغرباء.
  - باب التَّحذير من البدع.

- {قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (باب فضل الإسلام

- وقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾ [المائدة:٣]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ [يونس: ١٠٤]. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد:٢٨].

- وفي الصحيح عَنْ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صلاة الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ. فَغَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ عَطَاءً؟ قَالَ: هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شيئا؟ قَالُوا: لا. قَالَ: ذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ».

- ❑ وفيه أيضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَضَلَّ اللَّهُ عَنْ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ وللنَّصَارَى يَوْمُ الأحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ وَكَذلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. نَحْنُ الآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالأوَّلُون يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وفيه تعليقًا عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أنه قال: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ».
- ❑ وعن أبي بن كعب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: "عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَنَ عَزَّ وَجَلَّ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَمَسَّهُ النَّارُ، وَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَنَ، فَاقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إلا كَانَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ يَبِسَ وَرَقُهَا فَبَيْنَا هِيَ كَذَلِكَ إِذْ أَصَابَتْهَا الرِّيحُ فَتَحَاتَّتْ عَنْهَا وَرَقُهَا، وَإِلا تَحَاتَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحَاتَّ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا، وَإِنَّ اقْتِصَادًا فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ خَيْرٌ مِنَ اجْتِهَادٍ فِي خِلافِ سَبِيلِ اللَّهِ وَسُنَّتِهِ".
- ❑ وعن أبي الدرداء -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: "يَا حَبَّذَا نَوْمُ الأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ، كَيْفَ يَعِيبُونَ سَهَرَ الْحَمْقَى وَصِيَامَهُمْ، وَلَمِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ بِرٍّ مِنْ صَاحِبِ تَقْوَى وَيَقِينٍ أَفْضَلُ وَأَرْجَحُ وَأَعْظَمُ مِنْ أَمْثَالِ الْجِبَالِ عِبَادَةً مِنَ الْمُغْتَرِّينَ")}.

- قبل أن نبدأ الشرح في كل نصٍّ من هذه النُّصوص الشرعية؛ أحاول أن ألفت انتباه المشاهد الكريم والطالب الذي يُريد الفائدة؛ أُنظر للآية مرَّةً بعدَ مرةٍ، من أين تستخرج منها بيان فضل الإسلام؟

☑ **الآية الأولى** في سورة المائدة واضحة جدًّا، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾ [المائدة:٣].

☑ **الآية الثانية** قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ [يونس:١٠٤].

- إذن؛ أنا لستُ في شكٍّ من ديني، فالإسلام دين يقينٍ وليس فيه شك.

☑ **الآية الثالثة** قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾، يعني ضعفين من رحمته.

- وزيادة على هذا ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد:٢٨]. فهذا ثوابٌ عظيم مترتّبٌ على الإسلام، كفلين من رحمته، ونورٌ تمشون به، ويغفر لكم؛ كل هذا جزاء للمسلم الذي دخل الإسلام. الله أكبر!

- أمَّا حديث ابن عمر فهو صريح في مُضاعفة أجور مَن اتَّبعَ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، وحديث أبي هريرة في فضل الجمعة، وأنَّ الله هدى أهل الإسلام ليوم الجمعة وهم الآخرون في الزَّمن وتاريخ الأمم، فهم آخر الأمم الآن هم أمَّة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ولكنَّهم هم الأوَّلونَ يوم القيامة.

إذن؛ كل هذه الأحاديث تدلُّ على فضل الإسلام، وأنَّه حنيفي سمح ليس فيه شدَّة.

النَّص الأول: قول الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [المائدة:٣].

- قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾.

متى نزلت هذه الآية؟

سمع يهودي عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يقرأ هذه الآية، فقال اليهودي: لو أنَّا معشر اليهود نزلَت علينا هذه الآية لاتَّخذنا ذلك اليومَ عيدًا.

فقال عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "إنِّي أعلم أيَّ يومٍ نزلت. نزلت يوم الجمعة عشيَّة عرفة في حجَّة الوداع، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- واقفُ بعرفة".

إذن؛ هذا اليوم هو يومٌ مُعظَّمٌ عند المسلمين، وهو يومٌ له شأنٌ كبيرٌ عند الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فكان يوم عرفة يوم جمعة وهو عيد الأسبوع.

وقوله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "عشية عرفة"، أي: بعدَ الزَّوال، فالعشي يُقال لِمَا بعد الزَّوال إلى ما قبل غروب الشَّمس.

فوائد من قوله تعالى: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

- **الفائدة الأولى:** هذه منَّةٌ، أنَّ الدين كامل؛ لأنَّ في الأمم السابقة كان الله -عَزَّ وَجَلَّ- يُتابع عليهم الأنبياء والرسل لحاجتهم إليهم، حتى يعرفوا أحكامه، أمَّا في هذه الأمَّة فقد أكمل الله -عَزَّ وَجَلَّ- الدين، وأتمَّ هذه النعمة.

- **الفائدة الثانية:** أنَّ هذه الآية حُجَّة لكل سُنِّيٍّ على مَن ابتدع في دين الله، فالمبتدع إذا ابتدع عقيدة فاسدة، أو ابتدع عبادةً ضالَّة، أو ابتدع ذكرًا أو أي شيء من البدع؛ يقول له السُّنيُّ: لماذا ابتدعتَ هذه البدعة؟

- فيقول المبتدع: أتعبدُ وأتقرَّب إلى الله.

فهل هذا في القرآن وفي السنَّة وأجمع عليه الصحابة؟

- إن قال في القُرآن والسنة فعلى العين والرأس، أي شيء في القرآن والسنة يجب علينا أن نطيع الله ورسوله فيه، لكن البدع ليست في القرآن ولا في السنة، فإذا كانت ليست في القرآن ولا في السنة ولم يفعلها الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- فهذه بدعة، وليست من الدين في شيء؛ لأنَّ الله يقول ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

- فإذا قال: هذه بدعة حسنة.

فنقول: ليس في الدين الذي أكمله الله -عَزَّ وَجَلَّ- بدعة حسنة؛ لأنَّه إن كان من الدين الذي أنزله الله فهو ليس بدعة وليس إضافة، وإن كان ليس من الدين فلا حاجة لنا به.

- فإذا قال: نحتاجها لنكمّل الدين.

نقول: هل الدين ناقص؟ هل يجرؤ مسلم أن يقول إنَّ الدين ناقص؟!

- لا يجرؤ مسلم أن يقول إن الدين ناقص، وإذا صرَّحَ بهذا وقال إنَّ الدينَ ناقص وأنا كمَّلته فقد كذَّبَ قول الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

✸ **الفائدة الثالثة:** قوله ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، هنا إشعارٌ للمسلم بنعمة الإسلام، والله -عَزَّ وَجَلَّ- أضافها لنفسه المقدسة، وهذا يدل على شرفها، فأنتَ لَمَّا تدين بدين الإسلام فأنت الآن قد أعطاك الله شرفًا عظيمًا ونعمةً كبرى، فمما يدل على شرفها أنَّ الله أضافها لنفسه، فهي تامَّة، وليست بحاجة إلى تكميلٍ، ولكن الشَّأن أن تجتهد في العمل بما هو من هذا الدين.

✸ **الفائدة الرابعة:** قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾، في الآية مفهوم صريح -منطوق- للآية، ومفهوم مخالفة.

➤ **أما مفهوم المنطوق:** هو أنَّ الإسلام رضيه الله دينًا، فمَن دانَ به فإنَّ الله يرضى عنه، ولا يرضى الله -عَزَّ وَجَلَّ- إلَّا به.

➤ **ومفهوم المخالفة:** أنَّ مَن لم يأتِ بالإسلام فلن يرضَى الله عنه، فمن لقيَ الله وهو يهودي، ومن لقيَ الله وهو نصراني أو مجوسي أو مُلحد، أو غيرهم من الكفَرَة؛ فإنَّ الله لا يرضى عنه، وهو محل سخط الله، وهذا يؤكده قول الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

- وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾ مثل قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[١]، لأن الإسلام المنزَّل على محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- إذا عملت به يرضى الله عنك، أمَّا الإضافات التي تحدثها والبدع التي تزيدها لن تُقبَل منك وهو قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

[١] أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) واللفظ له.

إذن الدين المرضي هو الإسلام، وهو ما أنزله الله على محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، اطلبه تجده في القرآن وفي صحيح السُّنَّة وما كان عليه الصحابة.

الآية الثانية: قول الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٤].

- قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾، أي: إن كنتم في شكٍّ من الإسلام دين النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فنحن لسنا في شكٍّ من دين الإسلام، فنحن على يقين.

- قال تعالى: ﴿فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فنحن لا نعبد الذين تعبدون من دون الله، فلا نعبد عيسى ابن مريم، ولا نعبد جبريل ولا ميكائيل، ولا نعبد الأولياء، ولا نعبد غيرهم ممَّن يُعبد من دون الله.

- قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾، فيه دلالة على الأمور الرُّبوبيَّة، فلا أحد يدفع الموت عن نفسه لا من الجن ولا من الإنس، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ولو أُتيَ بأمهر الأطباء والمستشفيات وأراد الله لرجل أن تُقبَض روحه فلا يستطيعون إمساكها أو تأخير الموت، فهذه آية ربَّانيَّة تدلُّ على ربوبيَّة الله، فهو الذي يُحيي ويُميت، ولكن هنا يُبيِّن أن توحيد الألوهيَّة مرتبطٌ بالربوبيَّة، فمن أتى بالرُّبوبيَّة يلزمه أن يُوحِّد الله في ألوهيَّته، لكن المشركين يتناقضون، فهم يعرفون الرُّبوبيَّة ويُنكرون الألوهيَّة، وهنا الآية للرَّد عليهم في قوله: ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾، فقد قهركم -جلَّ وعَلَا- وقهر جميع العباد، فهو الذي يُحيي ويُميت، وهو القاهر -سبحانه وتعالى- فوق عباده.

- فالرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وأتباعه ليسوا في شكٍّ من الإسلام، ولا يقعون في الشِّرك، وهذه الآية مثل قول الله -عَزَّ وَجَلَّ- في سورة الكافرون: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾ [سورة الكافرون].

- **ويُستفاد من هذه الآية:**

  - أن دين الإسلام دين يقين لا شكَّ فيه.
  - ليس في عقائد الإسلام تناقض.

الآية الثالثة: قول الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد:٢٨].

- كل هذه الفضائل تحصل إذا آمنت بالله وبرسوله محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- واتَّقيتَ الله، فإذا دخلتَ في دين الإسلام وثبتَّ عليه؛ فكل هذه الفضائل والأجور تحصلُ لك:

- ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾، أي: ضعفين.

- ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾، أي: نور الكتاب والسنَّة، وهو نور القرآن العظيم، به تعرف الحق من الباطل، وتعرف الهدى من الضَّلال، تعرف السُّنَّة من البدعة، تعرف الطاعة من المعصية، فهو فرقان تعرف به الحق والباطل، وتعفر به الضلالات فتحذرها، وهذا النور العظيم بعض الناس فقدَه فلا يدري ما هي السنة وما هي البدعة، وما يدري ما هو الكفر والإيمان، ولا يدري ما هو الحق والباطل -نسأل الله العافية والسلامة.
- ولا يتأتَّى للإنسان معرفة الهُدى والحق ومعرفة السنة ومعرفة الطاعة إلَّا بنور الكتاب والسنة، فيتعلَّم ويدرس على حسب ما يعطيه الله -عَزَّ وَجَلَّ- من العلم، ولكن من فقدَ هذا النور فوالله لا يُمكن أن يُفرّق، فيضل ويتيه -نسأل الله العافية والسلامة.
- فهذا النور تجده في الإسلام، فاحمد الله يا مسلم على هذه النّعمة، فأهل الأهواء وأهل البدع وأهل الضلالات وأهل الغفلة وأهل الشرك لا يفرقون، وأنت تُفرّق، فهؤلاء الضُّلَّال إذا مرض المريض منهم ربَّما يذهبون به إلَّا السَّاحر، ولا يدرون أنه يزداد مرضًا ويزداد فسادًا في عقيدته وضلالًا في دينه، فيأتي الساحر ويقول له: اذبح وافعل...؛ فيستجيبون للسَّحرة والكُهَّان، ويُصدِّقون المنجّمينَ، ويصدِّقونَ الأبراج!
- قوله: ﴿نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾، فلو أنَّك الآن تمشي في الطريق وبه حُفر وعقارب سامَّة وحيَّات لادغة قاتلة، وأضرارٌ متنوّعة؛ وأنت عندك نورٌ تُبصر به أن توضع قدمك حتَّى تتقي هذه الضلالات، وهكذا المسلم الموحِّد الذي أنعمَ الله عليه بنور الكتاب والسُّنَّة.
- قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فكلنا نرجوا أن يغفر الله لنا، وفي الحديث القدسي يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ: **«يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِيْ بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِيْ لاَتُشْرِك بِيْ شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغفِرَةً»**[٢].
- إذن؛ كل هذه فضائل الإسلام دلَّت عليها الآيات، وليس المقصود من المؤلف محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أن يحصُر جميع الآيات التي فيها فضل الإسلام، ولكنَّه أعطانا ثلاث مواضع من القرآن كلها تدل على فضل الإسلام، وفضل هذه النِّعمة، وإذا تدبَّر الإنسان هذه الآيات وتفكَّر في نفسه وفيمَن حوله عرفَ نعمة الإسلام التي أنعم الله بها عليه.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



[٢] أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) واللفظ له، وأحمد (١٣٤٩٣).